(٢٢)

عيسى والنبيون كلمات الله
محمد وعباد الرحمن رسل الله
من آلوا محمدا سفن النجاة وبيوت الله
إن لله عبادا إذا ذكروا ذكر الله

حديث الجمعة

٢٠ شعبان ١٣٨١ هـ - ٢٦ يناير ١٩٦٢ م

أشهد أنه لا إله إلا الله، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وفى كل شيء ظاهر، وبكل أمر لشيء حكيم. نعبده ونعبِّد أنفسنا له، لنتوحده، فنوحده، ونرتضيه لنقوم به فيه، ونحبه ونفنى فيه لنشهده في أنفسنا لنا، لا شريك له منا، ولا سلطان لغيره علينا، ولا ظهور لغيره لنا، ولا ظهور لغيره بنا. نقومه لنشهد بلطيفه وجهه بنا محيط، من وراء كل نفس دائم، وعلى كل نفس قائم، وبكل نفس شهيد، ومن كل نفس شاهد.

نشهد وحدانيته، بوحدانيته معنا، وبوحدانيته مع كل ما يحيط بنا، وبوحدانيته بكل ما يقع نظرنا عليه، أو يقع نظره علينا، أو يقع أثره فينا، أو يقوم تأثيره منا. نحيا تحت سلطانه، ويقوم بنا بسلطانه، نسلم له ونؤمن به، طامعين أن نكون له وجه، وأن نكون له عنوان على ما أودع بالإنسان من صفات من الرحمة والحكمة، من الكبرياء والعظمة، تزاحمت صفاته، وتجلت به آياته، وقامت في الناس بالعباد أسماؤه، وتنزهت حقيقته، وظهر بالعباد معروفه، وعُلِم بصفاتهم موصوفُه، فذكرنا له الاسماء، وعرفنا له الصفات، وشهدنا له الآثار، وقامت بنا عنه الأخبار، فكان المعروف وإن لم يعرف، وكان لنا الموصوف وإن لم يتصف، وكان منا القريب وإن لم يدرك في عظمته وفى تعاليه وفى إحاطته وفى إطلاقه.

تكلمنا عنه وتكلمنا به، وقام بنا وقمنا به، وظاهرنا وظاهرناه، وقاربنا وقاربناه، بمفرداتنا وجماعاتنا، في ماضينا كما نعلم من تاريخنا، وفى حاضرنا كما نعلم من دراستنا لنا، وها نحن نبقى فيه كما كنا، وهو لنا

ونحن له، وها نحن فيه على ما كان لنا وكما كنا له. وسيبقي وسوف يبقى وهو باقٍ لنا أبدا على ما هو لنا، وسنبقى كما كنا وكما نحن كائنون، وكما سنبقى ونبقى ونبقى له على ما نحن عليه.

صفاتنا في جِمَاعِنا صامدة على ما هي عليه ظاهرا لإنسانه وشيطانه، وصفاتنا في مفرداتنا متجددة كما تجددت في قديم لمفردات لها، وكما هي متجددة في حاضر لمفردات منا من قديم لها، قانونا له وكتابا لنا، فسيبقى نظام مجتمعنا من صفات الظهورية له، بوصفه من إنسانه وشيطانه تتجدد ذوات وصفات المفردات فيه، للفرد يمتد بما ينزل الله عليه من أمره من النور، وما ينفخ فيه من الروح، وبما يفيء ويفيض عليه من تواجد بالوجود، يمتد بنوره وروحه فيمن يخالل، وفيمن يحب، وفيمن معه يتحاب، حتى يمتد الفرد إلى جَمَاعة، وحتى تتوحد الجماعة في قيام ووصف الفرد، أمة هي إمامها، وإمام هو أمته في امتداد من فرد متجدد لا يتوقف تجدده وكوثره، واجتماع من أمة تجدده لا يتعطل في تلاحق بتصاعد، وبعث بتواجد على جانبي الحياة دانيها وقاصيها بين يدي رحمته بالأولى عملا، وبالآخرة حصادا، في قانون دائب، ووجود صامد حتى يتحرر الفرد والجمع من سجن الأرض والسماوات.

هذا قانون فاعل لا يتعطل عمله أبدا، ولا يختفي أثره أبدا، ولا يظهر لمن كان من نصيبه، ردا لفعله القطيعة والهلاك أبدا. لا يعرفه إلا مؤمن، ولا يهتدي إليه إلا مؤمن، ولا يقومه إلا مؤمن، ولا يسعى في طلبه إلا مؤمن. تأتي به مفقودا سكرة الموت لجاحده، كما تأتى به نعمة الموت لواجده.

إن الوجود في حقيته ثابت في قيامه، ثابت في دوامه، ثابت في أوصافه، ثابت في فعله، متزايد متناقص في مادياته من مفرداته. يمسك إنسان الوجود السموات والأرض أن تزولا. صدق العليم بما جاء في كتابه من أنه الصمد في ذاته بوجوده بظاهره عن باطنه. وصدق رسوله، من حقي إنسانه، في سرمدي إنسانيته، يوم علم وهدى (الظاهر مرآة الباطن)[1]. فالظاهر لا تختل موازينه، ولا يختفي بالباطن يقينه، ولا يسود على مفرداته من الخلق ظنينه، بل الرحمن الرحيم، بل السيد الحكيم، بل الرب الكريم، بل إنسان الله القائم على كل نفس، لا يميز بين نفس ونفس، ولكن النفوس هي التي تتميز وتتمايز بما تكسب، وكل نفس بما كسبت رهينة، وبما اكتسبت ظنينة. لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. المؤمن منكم مرآة أخيه، والمؤمنون منكم مرآة المؤمن الذي أظهره الله على الدين كله مرآة المؤمن من أمر رسوله، ومرآة المؤمن من أمر مرسله. شهد الله أنه لا إله إلا هو، فكانت شهادته لنفسه، فهو المؤمن بنفسه، العارف بها، وقد جعل الله إيمان العبد من طبيعة وفطرة إيمان الله بنفسه عن نفسه. لا يؤمن العبد إلا إذا آمن بنفسه فعرف ما تكون، على ما هي كائنة، عرفها شيطانا في مادتها، وعرفها نورا في ملائكيتها، وعرفها روحا في ألوهيتها، وعرفها غيبا في عبوديتها، وعرفها ظاهرا في علميتها على معلومها، وعرفها وجودا كاملا حيا في حقيقتها آمن بها. آمن بها في

أسفل سافلين أنها من أسفل سافلين، وآمن بها في أعلي عليين أنها من أعلي عليين، آمن بها في إيمانه بأن الله قريب من المؤمنين بقربه من أهل محبته، وآمن بها في غفلتها بنصيبها من الغفلة عن حقيقتها من الغافلين. آمن بها مبلسة في جنوحها عن سفن نجاتها في حيواتها، وآمن بها في سفين نوح بتوفيقها لخلاصها، وآمن بها من عيسى في أملها، وفى عساها، وفى رجاها، وفى ترويض مبناها لكمال معناها، برؤية ضيق مبناها لسعة معناها في عالم وجودها وتواجدها، بظاهر لمبناها منطلق في معناها، ومنطلق عنه في حقي معناها، بالشهود آمنها من محمد، يوم حقق لها حقها عليها به جانبا من رجاها في متابعته فَحُمِّدَت صفاتها، عندها مدركة على ما اتصفها، مستزيدة من حقها ومعناها فيه، الأحمد مما حَمَدت، راجية من الواسع العليم المحمود الأكثر مما به حُمِّدت، في متابعته لظاهرها ظاهرا، ولباطنها باطنا إلى ما لانهاية، لمتابعة في ما لانهاية من كسب ووهب.

ليس هناك كمال يرتجى. لا جديد في الحق. لا جديد تحت الشمس. آيات الله في السماوات والأرض لا ينقطع عملها، ولا يتوقف ظهورها، ولا يتعطل مدارها. وكم من آية في السماوات والأرض يمرون عليها - والكل مارٍ عليها - وهم عنها معرضون. كم من آية في أنفسهم يحسُّونَها ولا يدركونها، وينظرونها ولا يعقلونها، ويقومونها ولا يتعظونها. العاقل من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه، وهم أشقى من الأشقياء، لا يتعظون حتى بأنفسهم، ولا يتعظون بالآيات مهما كانت بارزة أمام نواظرهم لعيونهم، في غيرهم أو في أنفسهم. ينظرون رد أفعالهم إليهم بالجزاء على عين ما فعلوا بأنفسهم مع من رأوه غيرهم، إذ تقع عليهم ممن يراهم غيره، ولا يتأملون ولا يدركون. يرون العطاء يوم يرد الله إحسان الآباء، عطاءً للأبناء ولا يتأملون، ولا يرجون، ولا يطمعون.. وليخشى الذين إذا تركوا من بعدهم ذرية ضعافا خافوا عليهم.. ذرية طيبة بعضها من بعض.. الذين آمنوا وتابعتهم ذرياتهم بإيمان.. أما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا.. ينقطع عمل بن آدم إلا من ثلاث، صدقة جارية، علم ينتفع به، ولد صالح يدعو له بالخير.. من صلح أصلح الله له من صلح من آبائه وأزواجه وذرياته.. وما إلى ذلك من حديث الإحاطة، وحديث النبي الإمام.

هذا هو هدى الله، في حديث من الله، ظهر به كتاب من الله، نُشِرَ عبدا بين الناس من أنفسهم، رسولا من أنفسهم، على مكث فيهم يتلوه، وعلى بقاء بينهم يُبينُه، كتاب أنزلناه عليك لتبين لهم، كتاب أنزلناه عليك - لم ننزله عليهم- أنزلناه عليك لتبين لهم، ولم نجعل من خصائص الكتاب أن يُبِين لهم إلا إذا قام رسولا من بينهم، عترة رسوله، وصنو كتابه لا يتوقف تنزيله. لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا..

تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبدا، فإنهما لا يفترقان أبدا.. لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم.. يأتي عليهم زمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر.. ولتجدن أكثرهم لا يؤمنون.. قليل من عبادي الشكور.. فهمناها سليمان.. وقليل ما هم.. من قتل نفسا مؤمنة بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا.. إن النفس الصالحة هي شجرة الجنس، وهي فرض كفاية من المجتمع فهي الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة والأصل الثابت للفرع في السماء من الجنس البشرى لجنسه الإنساني، من الجنة والناس. تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها أنه بيت الآدمية لشجرة البشرية.

بهذا كله جاء الكتاب، فتجاوز الناس الرسول إلى الكتاب، لم يُنزل عليهم، وليس لهم من القلوب ما تَطهَّر حتى يكون لهم من نوره نصيب، ولم يعرفوا ما الكتاب فيتنزل عليهم روحا من أمره ونورا من حقه، ولكنهم يتجاوزون الرسول ويتجاوزون النور، ويتجاوزون القلوب، ويذهبون إلى الكتاب ورقا يقرأونه، ووزرا يحملونه، كما تحمل الحمر أثقالهم فيقرأونه كما يقرأه عليهم الحديد. يقرأونه أحاجي، ويفسرونه خيالات وأماني، ولا يقومونه حقائق، وكيف يقومونه وهم بعيدون عن الحق بعملهم وبعقائدهم؟ ما وحدوا الله، وما قاموا رسول الله امتدادا لنوره، وهو الذي جعل له النور يمشي به في الناس من أمر ربه، وقد أوحى إليه، ونفخ فيه الروح من خلال أسواره، جعل له العلم نورا والرحمة حياة يمشى بهما في الناس فيهديهم ويحييهم، فجعل من الله للناس قدوة ليسعدهم ويرضيهم، يسري بنوره فيهم فيهديهم، ويقوم بروحه بهم فيميتهم ويحييهم، وعلى ما هدى، وعلى ما عَلَّم، وعلى ما عَلِم لا ينقطع له بين الناس تواجده، يقوم ويتقلب في الساجدين، مرفوع الذكر، مغفور الذنب، مطاع الأمر، مجاب الدعاء، مقبول الشفاعة، مأذون الوسيلة، هو رحمَة الوجود، بغيرها ينقطع التواجد، ويأسن ماء الحياة ولا يتجدد، فلا تقوم الأفعال، ولا ترد إلى الناس الأعمال، حوض الحي القيوم في حياة الناس قائمين به بالحياة، قائم بهم من الله بالهدى، قائم عليهم بالقيوم بالحياة والهدى. يضاعف لهم الحياة، ويضاعف لهم الممات، تضاعف الحياة لمضاعفها، بمضاعفة الموت له، لا ينفر منه، ولا يظن بالله الظنون في أمره. يموت قبل أن يموت، يموت قبل أن يموت الناس، وهو منهم، ويبعث قبل أن يبعث الناس، وهو ليس منهم. يؤمن بالقيامة قائمة في قيام الله، ويؤمن بالساعة قائمة متجددة في نفحات الله وفى جزاء الله، ويؤمن بالوجود خالدا قديما، باقيا، لأنه دار الله، لأنه دار من دور الله، لأنه وجود لله، من ظاهر الله لباطن الله، يتجدد من قديم نوعه، ويتجدد منه جديد نوعه، في مجتمع للوجود متوحد بالموجود، ظاهر فيه عين الوجود، باطن له باسم الموجد، لا يغيب عنه رسول رحمته. واعلموا أن فيكم رسول الله.. وما كان الله ليعذبهم وهو فيهم.

به أدرك المدرك هدي رسول الله، هدي رسول نفسه، هدي رسول قديمه لقائمه، وهدي قائمه لجديده برسول الله وبعبد الله وإنسانه، ونور الله وعنوانه، وروح الله ورحمانه. يطمع الطامعون في الله، ولا ينقطع للمؤمنين به رجاء في الله، ولا يقنع عارف بما حقق الله وإن شكره، ولا يأمن مكر الله وإن غفره، فيستغفر الله، ويستغفر الله، ويستغفر الله، ويَسأل الله، ويسأل الله وإن أجابه لسؤله، وإن أجابه لسؤله. يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد.

هذا هدي رسول الله، وهذا هدي كتاب الله، فهل آمنا بالله؟ أو أدركنا كتاب الله؟ أو آمنا برسول الله؟ أو عرفنا عن رسول الله؟

إنا نزعم أننا نؤمن بكتاب الله، وما طلب إلينا الله في كتاب الله أن نؤمن بكتاب الله، فليس هناك إيمان بكتاب الله على ما تعارف الناس عن معنى كتاب الله. إن كتاب الله كما يجب أن يعرف من ورق الوجود، ومحابر الشهود، ليس معنى كتاب الله المجلد المعبود، أو الرسم والصوت المعتقد أو الموجود، ولكن كتاب الله المراد أن يكون موضع إيمان الناس إنما هو الناس. إن كتاب الله المراد أن يكون موضع إيمان الإنسان إنما هو الإنسان. وفي أنفسكم أفلا تبصرون.. هذا كتاب الله. ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير.. هذا كتاب الله. استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك.. فهذا هو كتاب الله، وبيت الله، ووجه الله.

إن الله قائم على كل نفس، وأقرب إليها من حبل الوريد، ومعها أينما كانت وأينما تكون. هذا هو كتاب الله وقيام الله، وحق الله، ونور الله. آمن كتاب الله نفسك، آمن رسول الله عقلك. اقرأ نفسك واسمع عقلك. آمن بالله روحك. لا تعقل بعقل غيرك. ولا تتزكى بزكاة نفس غيرك. ولا تحيا في حياة فعل غيرك. فإذا كان الله قائم على نفسك، فكيف لغيره تلجأ؟ وكيف في غيره تكون؟ إنما من تراه غيرك من عباد له - إن عرفت فيهم معاني العبودية له - فليسوا غيرك. فإنك إن حييت فيهم، فإنما تحيا فيه، وإنما تحيا فيك، وإنما تحيا بنفسك. يا أيتها النفس المطمئنة، أدخلي في عبادي وادخلي جنتي. إن لا إله إلا الله حصن نجاتك، وحوض حياتك. وإن لا إله إلا الله تقوم فيمن قامت فيه ليكون حصنا لك بمعناها لك، وبمعناها عندك. إنها حوض حياتك، وإنها ماء حياتك، وإنها سفينة نجاتك، وإنها أرض قيامك، وإنها شمس شهودك، وإنها روح وجودك.

يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون.. ما يأتيهم من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون.. إلا استمعوه وهم يلهون، وبأمر دنياهم يقومون وهم بها منشغلون. كيف تشهد وحدانية الله في نفسك لنفسك وأنت لا تؤمن أن وحدانية الله في شهودك بموجودك لعبد من عباده؟ هل أنت أوليته حقا أو خلقا؟ إنك تعلم أنك لست أوليته لا حقا ولا خلقا. وتعلم أنه لا أولية

من حقه ولا أولية من خلقه لك ولعالمك إلا بإنسان نشأتك وآدم خلقتك. كيف تطلب لنفسك ما لم يحقق الله بعقيدتك لأحد من خلقه من قبلك وفي حاضرك في جمعك وجماعتك؟ أتريد أن تبدأ مجاهدتك من نفسك؟ فليكن، فإن الله وعدك وتحت مسئوليتك.. الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. إن الله وعدك أن يهديك السبيل، ما جاهدت فيه وصدقت المجاهدة له.. وكان الإنسان على نفسه بصيرة وإن أبدى معاذيره. ولكنها طريق يطول شأنها، ويطول أمرها، ومآلها في النهاية أن تعرف السبيل!!! ولكن هديه الذي هدى برسله وحفظ ذكرهم بكتبه التي أبرز ويبرز، رسله الذين تواجدوا وفي قديم الناس، ولم ولن ينقطعوا في حاضر ومستقبل الناس، فيهم صلاح الجديد وحفظ الصالح من القديم من الناس، جُعلوا عونا للناس ممن أعطىَ كل شيء خلقه ثم هدى، كانوا سُبل الله للناس، وكانوا مصابيح السماء الدنيا، من حيوات الناس، وطبقات الناس، من دنيا قيامهم بنهاية ماضيهم، وبداية حاضرهم، وأول مستقبلهم، بين يدي رحمته تكفل لهم منهم بخيِرين شهداء، وبصدِيقين أنبياء، وبأنبياء أولياء، وبأولياء رحماء، وبرحماء أتقياء، وبأتقياء علماء يظهَرون روح الله، وعباد الله، ورحامين الله لخلق الله. هم في دوام بين الناس، لا ينقطع لهم تواجد، ولا يتوقف لهم ظهور، ولا يختلف لهم هدي، ولا يتعارض منهم منطق، ولا يتضاد منهم مسلك، ولا تتضارب لهم صفات أيا ما كانت أممهم، وفي أي أرض كان ظهورهم، وعلى أي دين برزت صفاتهم. إنهم عباد الرحمن في كل دين، وفي كل أرض، وفي كل أمة وفي كل زمان.

هذا جاء به الإسلام، وما طُلب من الناس في الإسلام أن يؤمنوا برسوم الكتاب، ولا بجسده من الورق باسم الكتاب وبمعني الكتاب.. لو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى.. بل لله الأمر جميعا. فيجب أن لا يكون هناك إيمان بألفاظ، ولا بألواح من ورق، ولكن الإيمان إنما هو في العنوان من الإنسان، كتابا كان، أو لوحا كان.. إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى. وما كانت صحف إبراهيم وموسى إلا مفردات الصادقين من أمة إبراهيم وأمة موسى، عبادا لله في أمة إبراهيم وأمة موسى. وكذلك الأمر في شأن محمد، وأمة محمد، وكتاب محمد، ودين محمد، إنما هو الأمر في الناس من المسلمين له، المؤمنين به، القائمين فيه.. لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى أن تقوم الساعة.. الخير في وفي أمتي الى يوم القيامة.

هذا هو هدي الدين إن أردنا أن يكون لنا كتاب ودين، وهذه هي الطريق إن أردنا أن يكون لنا في طريق الحياة مسير ويقين، وهذا هو المسلك إن سلكناه، وهذا هو التخلق بأخلاق الله إن عرفناه وطلبناه، وهذا هو المنظور بالحياة في أطوار الإنسان. وهذا ما أشير إليه وما عنى بقوله.. خلقنا الإنسان من سلالة من طين أو خلقناكم أطوارا.

هذا قليل من كثير فيما يصح أن نتكلم فيه من أمر الإنسان. إن الإنسان مُهيأ بحكم خلقته لأن يكشف حقائق نفسه، وحقائق الوجود، وحقائق الله في وجوده وفي مشهوده. إنا إذا تأملنا فيما تكشف لنا وكشف لنا رجل نقول إنه من غير ملتنا ومن غير أمتنا، فيما كشف بكشف قانون من قوانين الطبيعة وقوانين الوجود، يوم وضع هذا القانون في كلمات فقال: "إن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القوة ومضاد له في الاتجاه"...

إن هذه العبارة على إيجازها، وقد كشفت عن قانون من قوانين الوجود أثبته من اكتشفه، واقتنع به من أدركه.. هذا القانون وحده يكفينا لأن يكون مفتاحا للقرآن، ولكل ما جاء بالقرآن. هذا القانون إن آمناه، وهو مما كشف الله لنا من آياته في الآفاق وفي أنفسنا، فطبقناه على أنفسنا، فقرأناها لنكتشف به أنفسنا، لوجدناه قانونا صادقا، يبين لنا صدق البعث، وصدق النشأة، وصدق الجزاء، وصدق الرد للدنيا، وصدق الرد للآخرة، وصدق دنيا الروح وصدق دنيا المادة.

فكل ما صدر من دنيا الروح راجع إليها يوم تصل بعملها الى هدفها من التواجد في المادة، ثم يبدأ رد الفعل بالقطيعة عنها وعدم التثاقل إليها. وكل ما صدر من المادة، هادفا إلى الروح، فله رد فعل مضاد في الاتجاه مساو في القوة، يوم تحقق النفس بعملها وهي تهدف الى عالم الروح فتصله وتتواجده، ومنه ترد الى الأرض بالبعث، كما بدأ أول خلق يعيده، على أصل نشأتها، وعلى صورة قديم فعلها.

إن هذا القانون الطبيعي يكشف الكثير مما جاء في القرآن، ويضع البيان له في مواضعه، يضع النقط على الحروف.. إنما هي أعمالكم ترد إليكم.. من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. إن الله قانون الوجود وهو الوجود، وقانونه قائم على كل نفس بما كسبت هذه النفس، أعمالها ترد إليها، وما يصدر من عملها أو من طاقتها إنما يقابله رد فعل مساوٍ له في القوة مضاد له في الاتجاه، فعملها مردود عليها إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.. إن الله لا ينظر الى صوركم وأقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم.. وإنما الأعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى.. أنا عند ظن عبدي بي إن خيرا فخير وإن شرا فشر.. فالذات محل صدور أفعال القلوب تتجدد برد الأفعال الصادرة عنها لتكون لها محل على عين صورتها، مسواة البنان بمحدثها لقديمها.

إن الذي أعني بذلك إنما هو أن تدركوا ويدرك الناس معكم، أن ما يتكشف لنا من قوانين في علوم الطبيعة، وفي العلوم عن الحياة، إنما هو مفتاح لبيان الكتاب بين أيدينا، وأن هؤلاء الذين كشفوا هذه القوانين في الطبيعة، وقدموها لنا سائغة مدركة، معتقدة، إنما هم من عباد الله الذين سخرهم الله ليعرف الناس عن طريقهم حقائق أنفسهم وحقائق وجودهم. وهم إذ يعرفون مما يعرفون عن أنفسهم وعن وجودهم إنما يعرفون عن الله القائم على كل نفس بالحياة في ظل قانون الوجود،

فيشهدون الله الموجود في كل موجود، ويطلبون الله المحيط بما نعلم وبما لا نعلم من الوجود، فيحبون الحياة بالله الظاهر المشهود، في كل ما يظهر من أبعاض الوجود لأبعاض الوجود، فيستقيمون مع الله من ورائها محيط بأحديته، ويؤمنون بالله من ورائها المعلم والمعلوم، فيوقن المؤمن أن الله من ورائه ومن وراء الشمس، وأن الله من ورائه ومن وراء أخيه، وأن الله من ورائه ومن وراء حاكمه، وأن الله من ورائه ومن وراء محكومه، وأن الله من وراء الكل محيط.. من وراء الأب ومن وراء الابن، ومن وراء الجد ومن وراء الحفيد، والله من وراء كل ما هو أكبر منك ومن وراء كل ما هو أصغر منك. الناس فيه وسط ما بين الكبير من الأجرام السماوية ومن الأرض، والصغير من الذرات والحيوات الدنيا للنبات والحيوان. وكذلك الإنسان بطبقاته في وحدة جماعه في اجتماعه.

كل من عليها فان بمعناه من عزلته واستقلاله، باق بمعنى وجهه من وصلته وامتثاله. والبقاء لله ما بقي الناس بالله، وما بقي الله بالناس، البقاء لله ظاهرا ما بقي الناس في ظهور، والبقاء لله باطنا أو غيبا ما اختفى الناس عن الظهور في إنسانية الغيب.

إن الناس بوصفهم ظاهر الله ظهوره بالوجود موجودا وموجدا، لهم فيه دوام، هو دوام الله، ولهم فيه بقاء، هو بقاء الله، ولهم به سرمدية، هي سرمدية الله، ولهم منه أزلية، هي أزلية الله، ولهم به أبدية، هي أبدية الله. أما الله في صمديته فإنه لا يعرف الأزلية ولا الأبدية لنفسه، ولا يليق أن يتصف حتى بالسرمدية لها، لقد جعل كل ذلك من صفات ما أوجد من معاني الخلق فيه، وهي ظاهر الوجود له. فالخلق لهم فيه سرمدية لأنهم عرفوه سرمدا في سرمدية أنفسهم، والخلق لهم فيه أزلية لأنهم عرفوه أزليا في أزلية أنفسهم، والخلق لهم فيه أبدية لأنهم أدركوه أبديا في أبدية أنفسهم، والخلق عرفوه منزها لاجتماع معناه من قدرته نكالق إلى معناه من وصفه كحق دائم في معانيهم، فنزهوا الدائم فيهم عن المخلوق به منه لهم، فقالوا منزه، وقالوا غيب، وقالوا مشهود. كل هذا وعي الخلق عن الحق فيهم، وعن وصف الحق لهم، بوصف الخلق منه بهم.

إذا عرفنا هذا عرفنا قضايا الدين كلها، في أنفسنا، وعرفنا البعث فينا لنا، وعرفنا القيامة منا بنا، وعرفنا الساعة في يقظتنا من غفلتنا، وعرفنا الديمومة من تجددنا بأنسجتنا لمفرداتنا وبمفرداتنا لمجتمعنا، في أبدي وجود على مثال مما كنا من أزلي وجود، في تجديد دائم بقائم وسرمدي وجودنا. نشهدنا في حاضرنا بمفرداتنا وجمعنا، معنى الجديد والقديم والقادم في قائم وجودنا، يتجمع لنا القديم والقادم في حاضر من قيامنا، فإذا علمنا عن قيامنا، وجعلنا معرفتنا من قيامنا، علمنا عن الله، وعن الحق، وعن السعادة وعن الحبيب المحبوب، وعن القادر وعن المقدر، وعن القريب وعن العلي، وعن المتعالي

وعن العالي، وعن المنزه في معرفتنا عن وصفنا بهذه الصفات جميعا، الظاهر منا مرآة الباطن لنا، ما آمنا بالله معنا، وما شهدنا وحدانية الله لنا، وما تابعنا في ذلك مشهودا بيننا رسول الله من أنفسنا.

هذا هو دين محمد مع محمد، وهذا هو دين الإنسان بمحمد، وهذا هو دين الناس في محمد. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

اللهم إنك تعلم ضعف حيلتنا، وعجز وسيلتنا، وظلام قيامنا، والتواء أمرنا، عن أمر عبدك ورسولك، وشفيعك ووسيلتك، من أظهرته لنا رحمة في جديد لقيامه، من قديم فيك لقيامه، جددت قديمه، وأحييت نديمه به كثرته وأغدقت كوثره، فما عرفناه، لا وجودا، ولا موجودا، ولا قائما، ولا متحددا، ولا متعددا، ولا ممتدا، ولا مشهودا، وقد جعلت معرفتنا عنك في سؤاله عنك، وقد قلت لنا في مخاطبته بنا.. إذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان.. إذا سألك عبادي عني.. سبحانك يا أزلي.. سألك عبادي عني.. ألا يدرك العباد أن المسئول للمسئول عنه، لا بد أن يكون موجودا في دوام وجود المسئول عنه!!! كيف يأمر الله أن نسأل رسوله عنه؟ وكيف يكلف رسوله ليحمل لنا المعرفة عنه فينا، ورسوله المسئول عنه لا وجود له بيننا؟؟ ولا شهود له منا؟؟ ولا قيام له بنا؟؟

سبحان الله.. هل يطلب الله منا أمرا جعله علينا مستحيلا! إنا نريد أن نسأل رسوله عنه ليعلمنا، ويشفع ويستغفر لنا، ويتوسل إلى الله ليصلنا حتى يجيب الله دعوتنا، ويكون لنا في شهودنا فنشهد به أن لا إله إلا الله، ونشهد أن المسئول حقا موجودا، فنشهد أن محمدا رسول الله في وجودنا، وفي قيامنا، وفي شهودنا. سبحان الله، هل علم الناس؟ هل أدرك الناس؟

إنهم يقولون إنهم قرأوا كتاب الله، فهل قرأوه؟ ويقولون إنهم حملوا كتاب الله، فهل حملوه؟

اللهم أغطش ليلنا وأخرج ضحانا، وأشهدنا معناك في معنانا. وقوم اللهم سبيلنا وحقق عبادك بيننا، وأشهدنا عبوديتك في عبوديتهم، وجماعتك في جماعتهم، وصدقنا في صدقهم، ووحدانيتنا في وحدانيتهم.

اللهم دلنا على من يدلنا عليك فينا بيننا، في الأرض وفي السماء، في الدنيا وفي الآخرة، فيما نعلم وفيما لا نعلم، في حاضر من الزمان وفي قادم من الزمان، فيما يدرك لنا بوجود وفيما يمكن أن يدرك لنا بتواجد.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا. اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم أصلح نفوسنا، وأصلح قلوبنا، وأصلح عقولنا، وأطلق أرواحنا،

وزدنا من نورك، ووفقنا لما تحبه وترضاه، وأقمنا فيما تحبه وترضاه. واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك، وحقق لنا فينا عاجل لقاء لك بوحدانيتك مع من اصطفيت لنا من عباد رحمتك وبيوت رشادك.

أضواء على الطريق

(إن المعرفة والخدمة أعظم من الأشخاص، وما حصلنا عليه من نشرهما في عالمكم حتى الآن قليل بالنسبة لما يمكن الحصول عليه. لا يصح ولا يمكن أن تفرض حدودا للروح الأعظم اللانهائي أو للحكمة أو للإلهام الذي يصدر عنه أو للحق الذي يمكنه أن يرسله لينشر شأن رحمته فوق عالمكم. وإنه لا يوجد قيود للقدرة الروحية الجبارة التي تنتظر لتملأ عالمكم، إذا ما أمدتنا أجهزتكم بالممرات الصحيحة كي نستخدمها لتحقيق هذه الغاية التي ستتحقق حتما وفي الوقت المناسب).

(سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ إشارة إلى مقولة من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه -:"...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه...". بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.